كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

التصوير البياني في الشعر الجاهلي

معلقة زهير بن أبي سلمى

" أنموذجًا "

إعداد

د/ مرفت فرغلي محمود عبد الحافظ

مدرس البلاغة والنقد في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد السادس والثلاثون الجزء الأول ٢٠١٧م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

لقد كان من توفيق الله تعالي أن اخترت موضوع البحث " التصوير البياني في الشعر الجاهلي ـ معلقه زهير بن أبي سلمي ـ أنموذجًا"

ولعل سبب اختياري لهذا الموضوع هو التعرف علي منزلة الشاعر زهير ابن أبي سلمي ومكانته بين الشعراء في العصر الجاهلي، والتعرف علي التصوير البياني في شعره، وما احتوت عليه هذه المعلقة من صور فنية عقلية وحسية فريدة وبديعة من نوعها.

كما وجدت أن العديد من الكتب الأدبية مشكورة قد اهتمت بالجانب اللغوي والشرح الأدبي للمعلقة، فرأيت إنه من المناسب استخراج الصور البلاغية البيانية وتحليلها بحسب ترتيب المعلقه.

وقد تكونت خطة البحث من الآتي:

١. **المقدمة** : وذكرت فيها سبب اختياري الموضوع وأهميته.

٢ـ **التمهيد** ويتضمن: التعريف بالشاعر، نبذة مختصرة عن أصحاب المعلقات ومعلقته، مفهوم الصورة في الشعر.

المبحث الأول: مصادر الصورة في المعلقة (مصادر حسية، ومصادر عقلية).

المبحث الثاني : التصوير البياني في المعلقة ويتضمن:

أولاً: التشبيهات

ثانياً: الاستعارات

ثالثاً: الكنايات

٣. **الخاتمة** وفيها : أبرز النتائج

٤. المراجع.

٥. الفهرس.

التمهيد

وقد اشتمل هذا التمهيد علي: التعريف بالشاعر، ومعلقته، وأصحاب المعلقات، ومفهوم الصورة في الشعر.

أولاً: التعريف بالشاعر:

" هو زهير بن أبي سلمي، واسم أبي سلمي هو ربيعة بن رباح بن قرة بن مازن ابن ثعلبة... من بني مزينة التي ترتد (تنتمي) إلي أم عمرو بن أدبن طانجة بن إلياس بن مضر بن نزار... وهو أحد الثلاثة المتقدمين علي سائر الشعراء، امرؤ القيس وزهير، والنابغة "[1]

" وقال عمر بن الخطاب لابن عباس . رض الله عنهم . هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قال : ومن هو ؟ قال الذي يقول:

ولو أن حمدا يخلد الناس خلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قال ابن عباس : ذاك زهير قال : فذاك شاعر الشعراء. قال ابن عباس : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال: لأنه كان يتجنب وحشي الشعر، ولا يمدح أحدًا إلا بما فيه. وفي رواية أنه قال: أنشدني له. قال ابن عباس. فأنشدته حتى برق الفجر، فقال: حسبك الآن اقرأ، قلت : فما أقرأ؟ قال: أقرأ الواقعة فقرأتها، فأذن وصلي. [2]

" ولد زهير علي الأرجح سنة ٥٣٠، ومات ٦٢٧ لأن بني غطفان الذين كان زهير ينزل عندهم اسلموا سنة ٦٣٠، واسلم ابنه (بجير) في هذا الوقت ثم تبعه

([1]) الشعر الجاهلي السياق والملامح . أهم القضايا . أبرز الأعلام: ص ٢١٩ تأليف د / صلاح رزق ط. دار غريب. القاهرة.

([2]) مكارم الأخلاق في الشعر الجاهلي د / خالد الزواوي : ص ١٣٥ ط مؤسسة حورس الدولية بالإسكندرية.

كعب بعد سنة وليس من المعقول أن تتقبل الإسلام (غطفان) ثم يتبعها ولداه واحدًا بعد الآخر ويظل زهير علي وثنيته... دون أن يذكر المؤرخون شيئا من أمره وإذا فلابد أنه مات قبل هذا بقليل... ولهذا نرجع موته قبل سنة ٦٣٠ ومات بعد أن شبع من الحياة إذا امتد عمره حتى قارب المائة أو كاد... وزهير يحيط به الشعر من جميع اطرافه، فأبوه من الشعراء، وخاله مثله، وزوج أمه أوس بن حجر كان شاعرًا أيضًا، وأختاه سلمي والخنساء شاعرتين وكان له ابنان شاعران أيضا، بجير، وكعب بن زهير ولقد اشتهر زهير بأنه من هؤلاء الذين يعنون بشعرهم ويعيدون النظر فيه.

حتى لتظل القصيدة موضع نظره سنة كاملة، ولذا سميت قصائده بالحوليات أي يمر عليها الحول... أي العام . ولم يفعل هذا غيره من شعراء الجاهلية" [١]

معلقة – زهير بن أبي سلمى :

" إن المتأمل لمعلقة زهير، لم ير أن زهيرًا قد خرج علي ما تعارف عليه الشعراء الجاهليون من تقليد قد شاع عندهم فيما يتعلق ببناء القصيدة " [٢]

فالشاعر قد بدأ قصيدته بما تعارف عليه شعراء الجاهلية من الوقوف علي الأطلال لاستحضار ذكرياته القديمة بما تحويه من فرح وحزن، واستخدم في شعره المفردات اللغوية الدقيقة التي تصور الحياة الجاهلية، بكل ما فيها من حياة بسيطة بدائية، ولذلك بدأ الشاعر مطلع قصيدته بقوله.

أَمِــنْ أُمِّ أَوْفَــي دِمنَــةً لَــم تكلِّــمِ بحومانَــــــةَ الــــــدرَاجِ فَــــــالمتثلَّمِ

---

(١) شرح المعلقات السبع للقاضي الإمام : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ١٢٧/ ١٢٨ ط دار مكتبة الحياة بيروت. لبنان.

(٢) زهير بن أبي سلمي حياته وشعره للدكتور/ محمد يوسف الفران ص ١٠٥ ط. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

ودارٌ لهـــا بـــالرقمتين كأنَّهـــا مراجـــع وشـــمٍ فـــي نواشـــرِ معصَـــم
بهـا العـينُ والآرام يمشـين خِلفَـةً وأطلاؤهـا ينهضـن مـن كـل مَجْـثم [1]
وَقَفْتُ بها من بعد عِشرين حِجَّةً فلأيـــا عَرَفْـــتُ الـــدار بَعْـــد تـــوهم
أثـافي سـفْعًا فـي مُعَـرَّسِ مِرْجَـلٍ ونؤيـــا كجـــذم الحَـــوْضِ لـــم يتـــثلَّم
فلمـا عرفـت الَّـدار قلـت لِرَبْعِهـا ألا أنعـم صـباحا أيهـا الرَّبْـعُ واسـلم [2]

" والمعلقات اسم أطلق علي عدد من القصائد الطوال لبعض شعراء الجاهلية. وقد اختلف في عددها وفي أصحابها، وأكثر الروايات علي أنها سبع، لأمرئ القيس، وطرفه بن العبد، وزهير بن أبي سلمي، ولبيد بن الربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة " [3]

" وكما اختلف في عددها وأصحابها، اختلف في اسمها، فوردت لها أسماء كثيرة هي : المعلقات السبع، والسبع الطوال، والقصائد السبع الطوال الجاهليات، والسبعيات، والمعلقات العشر والسموط، والمشهورات والمذهبات، ولكن الاسم المشهور لها هو المعلقات...وقد اختلف في شأنها، ورفعة قدرها فأكبرها العرب

---

(1) الدمنة: ما اسود من آثار الدار، والمعصم : موضع السوار، والعين الواسعات العيون كناية عن الأبقار الوحشية، والأرام جمع رم وهو الظبي الأبيض... زهير بن أبي سلمي حياته وشعره تأليف الدكتور / محمد يوسف فران. هامش ص ١٠٦.

(2) اللأي : الجهد، المشقة، الأثافي : جمع الأثفية : حجارة توضع عليها القدر. المعرس: المنزل. المرجل : القدر. النؤي: خندق يحفر حول الخيمة ليجري فيه الماء. الجذم: الأصل. انعم صباحا : طب عيشا. لربعها : لساكنيها. زهير بن أبي سلمي حياته وشعره تأليف الدكتور / محمد يوسف فران هامش ص ١٠٦

(3) شرح المعلقات السبع للإمام القاضي أبو عبد الله أحمد بن حسين الزوزني ص ٦.

وعظموها، حتى بلغ من شدة تعظيمهم لها أنهم كتبوها بالذهب علي الحرير ثم علقوها علي أركان الكعبة، وقيل: بأستارها ومن هنا جاءت تسمية المعلقات[١]

ومن أبرز أصحاب المعلقات :

معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ... بسقط اللوي بين الدخول فحومل

فتُوضِحَ فالمقراة لم يعف رَسْمَها ... لما نسجتها من جنوب وشمال[٢]

معلقة طَرَفَةْ بن العبد :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك أسي وتجلد[٣]

معلقة لبيد:

عفت الديار محلها فمقامُها ... بمني تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عريٍ وسْمُها ... خلقًا كمن ضمن الوجيُّ سلامها[٤]

معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحبك فأصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا

مشعشة كأن الحَصيَّ فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا[٥]

---

(١) شرح المعلقات السبع للإمام القاضي أبو عبد الله بن الحسين الزوزني : ص ٧

(٢) شرح المعلقات السبع للإمام القاضي أبو عبد الله أحمد بن حسين الزوزني ص ١٣.

(٣) شرح المعلقات السبع للإمام القاضي أبو عبد الله أحمد بن حسين الزوزني ص ٤٧.

(٤) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٨٩.

(٥) شرح المعلقات السبع للإمام الزوزني ص ١١٣.

ومن أصحاب المعلقات أيضاً :

زهير بن أبي سلمي :

أمِـن أم أو فـي دمنـةً لـم تكلـم بحومانـــة الـــدراج فـــالمتثمِ

ودارٌ لهـــا بـــالرقمين كأنهـــا مراجـع وشـم فـي نواشـر معصـم[1]

معلقة عنترة بن شداد:

هـل غـادر الشـعراء مِـنْ متـردم أم هـل عَرَفـتْ الـدار بعـد تـوهم

يـا دار عَبْلَـةَ بـالجواءِ تكلمـي وَعَمِـي صـباحًا دار عبلـة واسـلمي[2]

معلقة الحارث بن حلزة:

أذنتنـــا ببينهـــا أســـماء رب ثـــاو يمـــل منـــه الشـــواءُ

بعـد عهـد لنـا ببرقـة شـما ء فـــأدني ديارهـــا الخلصـــاءُ[3]

مفهوم الصورة في الشعر:

عرف الدكتور / محمد لطفي الصباغ في كتابة الحديث النبوي ـ التصوير ـ بأنه:

"التعبير عن المعني المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين، لأن ذلك أدعي إلي أن يفهموا مراده ويتأثروا به، ولأن الصورة البيانية تزيد في قيمة الأثر الأدبي، وترفع من شأنه، وتكسو المعاني أبهة وتضاعف قواها في تحريك النفوس لها[4]

([1]) شرح المعلقات السبع للإمام القاضي أبو عبد الله أحمد بن حسين الزوزني ص١٢٠.

([2]) شرح المعلقات السبع للزوزني ص١٣٠.

([3]) شرح المعلقات السبع الزوزني ص ١٤٦.

([4]) الحديث النبوي ـ مصطلحه، بلاغته، كتبه ـ للدكتور لطفي الصباغ: ص ٦٥ ـ ٧٠.

والتصوير يوجد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر ويشتمل التصوير علي عدة أمور أوضحها الدكتور لطفي الصباغ في:

. القصة السريعة .

. التشبيه .

. التشخيص .

. الاستعارة . [1]

(1) الحديث النبوي للدكتور / لطفي الصباغ : ص ٦٥-٧٠ ط . المكتب الإسلامي ببيروت ١٤١١-١٩٩٠م.

المبحث الأول

مصادر الصورة في المعلقة (مصادر حسية، ومصادر عقلية)

أولاً: الصورة الحسية:

" والمراد بالحسي: المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الظاهرة. فدخل فيه الخيالي[1]

لقد حفلت معلقة زهير بالكثير من الصور الحسية المستمدة من الحياة البدوية بأسلوب سهل وممتع، فالشاعر يشبه آثار الديار وما اسود منها بسبب العوامل الطبيعية من البعر أو الرماد فقال:

أمن أم أو في دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

والدمنة هنا الآثار، دمنة : البعرة، ويقصد ما سوده البعر والرماد من منزل أم أوفي. [2]

ويصور آثار الحبيبة ب " باقي الوشم في ظاهر اليد" في قوله:

ودارٌ لها بالرقميين كأنها مراجعُ وشمٍ في نَوَاشرِ مِعْصَم

معاني الألفاظ:

وشم : ثقب الذراع بالأبرة، وحشر الثقب بالكحل... نواشر أي العرق في ظاهر الذراع .[3]

---

(1) الإيضاح للخطيب القزويني : ص ٢٠٧ تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي. ط مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة.

(2) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل: ج/ ١ ص ٢٢٨. ط١ ١٤٢٣هـ الرياض.

(3) المعلقات العشر للدكتور عبد العزيز محمد الفيصل: ج ١ ص ٢٢٩.

فالشاعر هنا يصور الدار وهي تروح عليها الإبل والشاء أو يستدل علي الدار من خلال الأحجار السوداء التي كانت توضع عليها المراجل والقدور، أو من خلال القنوات التي تحفر حول الخيمة حتى لا تدخلها المياه فقال:

بهـا العـينُ والآرام يَمْشِـين خِلْفَـةً ... واطلاؤهـا ينهضـن مـن كـلِّ مَجْـثم
وَقَفْتُ بها من بعد عِشرين حِجَّةً ... فلأيًـا عَرَفْـتُ الـدار بَعْـد تـوهم
أثـافي سـفْعًا فـي مُعَـرَّسِ مِرْجَـلِ ... ونؤيًـا كجـذم الحَـوْضِ لـم يتـثلَّم
فلمـا عرفـتُ الـدارَ قلـت لِرَبْعِهـا ... ألا أنعـم صـباحًا أيهـا الربـع واسـلم

معاني الألفاظ :ـ

وأثافي : واحدتها أثفية : وهي الحجارة التي توضع عليها القدر،

سفع: سود، ومعرس : موضع المرجل، ومرجل : القدر التي يطبخ فيها. [1]

فهذه الصورة الحسية مستمدة من واقع الحياة البدوية، وهي إما مفرحة كصورة الأبقار والظباء، وإما محزنة لما تحمله من علامات الخراب والزوال والفناء كالأطلال.

ومن الصور الحسية التي وردت في المعلقة قول الشاعر:

تبصر خليلي هل تري من ظعائن ... تَحَمَّلْـنَ بالعليـاء مـن فـوق جـرْثم
جعلنـا القنـان عـن يمـين وحزْنَـهُ ... وكـم بالفنـان مـن مُحـلٍ مُحـرم
علـون بأنمـاطٍ عتـاقٍ وكلَّـةٍ ... وراد حواشـيها مشـاكهة الـدم
ووركـن فـي السـوبان يعلـون متنـهُ ... علـيهن دلُّ النـاعِم المتـنعم
بكـرن بكـورا واسـتحرن بسـحرة ... فهـن لـوادي الـرس كاليـد للفـم
وفيهنَّ ملهي لِلَّطِيف ومنظَـرُ ... أنيـقٌ لِعَـين النـاظِرِ المُتَوَسِّـمِ

(1) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل : جـ١/ ٢٤٢.

كـأن فُتـات العِهْـن فـي كـل مَنْـزِلٍ نــزلن بــه حــب الغنــا لــم يُحَطَّــم
فلمــا وَرَدْن المــاء زرقــا جمامُــهُ وضــعن عِصــيَّ الحاضِــرِ المتخَــيَّمِ
ظهـرن مـن السـوبان ثـم جزعنـه علــي كُــلِّ مبنــيٍ قشــيب ومِفــأَم

معاني الألفاظ :

ومضي تبصر: انظر، وظعائن: الظعائن النساء في الهوادج، وجرثم : ماء في الشمال الغربي من الجواء ببلاد القصيم من أرض نجد، ويعرف الآن بالجرثمي..

القنان : جبل في الشمال الغربي من القصيم من بلاد نجد، ويعرف اليوم بالوشم لاختلاف لونه من أسود إلي أحمر[1]

خزنه : الحزن ما غلظ من الأرض، وامتد، وكثرت حجارته، فإذا قلت حجارته فهو حزم، مُحل : ليست له ذمة ولا حرمة أي عدو، ومحرم : له حرمة أي صديق.

أنماط: صنوف مختلفة من الثياب تفترش، عتاق: كرام، كلة : ستر، وراد : عتاق حمر، حواشيها : نواصيها .

ظهرن : خرجن، السوبان: واد في الشمال الغربي من القصيم من بلاد نجد...، قيني : قنب مسنوب إلي بني القين، وهم حي من العرب، قشيب : جديد، مفأم : موسع. وركن : ملن بأوراكهن، والتوريك هيئة من هيئات الركوب، يقال ورك علي الدابة إذا أسدل رجليه في اتجاه واحد من جنبيها، دل : آثار النعمة، والشكل الجذاب، والغنج، والهيئة الحسنة، حب الغِنا : الغِنا شجر والحب ثمره، والثمر أحمر اللون، استحرن : خرجن في السحر وهو أول الصباح،

(1) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز محمد الفيصل : جـ١ / ٢٤٣.

جمامه : الجم والجمة الماء المجتمع في البئر، المتخيم : الذي نصب خيمته وأقام بجوار الماء.، واللطيف: الذي يتلطف في طلب اللهو، ويبتعد عن الجفاء[1]

تميزت الأبيات السابقة بدقة الوصف والتصوير فزهير يخاطب خليله ويطلب منه النظر والتبصر في تتبع آثار الأحبة فوصف الجبال والأماكن والأحبة خلال إقامتهم وترحالهم، وثيابهم ووصف ما يتناثر من الهوادج من قطع الصوف الأحمر اللون، ومخيماتهم، ومظاهر نعيمهم وآثار النعمة التي تعلو وجوهم ولهوهم اللطيف، فهو يصف رحلته بأدق تفاصيلها وجزئياتها بأسهل أسلوب وبإيجاز بليغ في المعاني.

ومن الصور الحسية في المعلقة قول الشاعر:

رعوا ظمأ هُمْ حتى إذا تم أوردوا غمارًا تَفَرَّي بالرماح وبالدم

معاني الألفاظ:

الظمأ: العطش، غمار : الماء الكثير، تفري: تشقق.

عبر الشاعر عن شراستهم في الحرب بالعطش الشديد وقد مثل حالهم بحال الإبل التي ترد الماء الكثير بعد العطش، فتشرب منه وتخوض فيه فيسيل من هنا وهناك[2]

ومن الصور الحسية قول الشاعر:

وَمَنْ لا يُصانْع في أمُورٍ كثيرة يُضْرَسْ بأنيابٍ ويُوطأ بمَنْسم

(1) المعلقات العشر للدكتور/ عبد العزيز بن محمد الفيصل: جـ١ / ٢٤٥. ٢٤٩.

(2) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل : جـ١ / ٢٦١ يتصرف لسير

معاني الألفاظ :

يصانع : يداري، يضرس : يعضض، منسم : طرف .

خف البعير.

يقول الشاعر: إن الإنسان بحاجة إلي مداراة الناس في شؤونه وأموره المتصلة بهم..وهو أمر عقلي . والذي لا يفعل ذلك يناله الأذى منهم بالقهر والذلة، فكأنه يعضض بالأنياب، ويوطأ بخف البعير[1] وهكذا مزج الشاعر بين المعني العقلي والحسي بصورة جميلة موجزة ومعبرة.

والمطلع علي القصيدة يري أنها قد احتوت علي الكثير من الصور الحسية، ولكنني قد اقتصرت علي بعض هذه الصور، لكي لا يحدث تكرار لأن التصوير البياني من تشبيه واستعارة يعتمد في الغالب علي الجانب الحسي.

ثانياً: الصور العقلية :

والمراد بالعقلي " هو ما ليس مدركًا بشي من الحواس الخمسة الظاهرة، مع إنه لو أدرك لم يدرك إلا بها" [2]

والصور العقلية في المعلقه كثيرة، ومن الصور العقلية التي وردت في معلقه زهير بن أبي سلمى الآتي :

يقول الشاعر :

فلا تكْتُمنَّ اللَّه ما في نفوسكم لِيَخْفي وَمهْما يُكْتَم اللُّه يَعْلَمِ

([1]) شرح المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل : جـ١ ٢٧٢. ٢٧٣.

([2]) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ص ٢٠٨.

" إن مضمون الرسالة التي أرغب في إيصالها إلي ذبيان هو حسن النية وأن يكون ظاهركم وباطنكم واحدا، فلا تُظهروا الصلح وتبطنوا الحرب، كما فعل حصين ابن ضمضم، عندما قتل ورد بين جابس بعد الصلح، فالله يعلم النيات [١]

وقول الشاعر:

سئِمتُ تكاليفَ الحياة ومن يَعِشْ ثمانين حولًا لا أبا لك يَسأَم

وأعلَمْ ما في اليوم والأمس قَبْلَهُ ولكنني عن علم ما في غدِ عَمِ

معاني الألفاظ:

سئمت الشيء سآمة: مللته وتضجرت منه. التكاليف : المشاق.

لا أبالك : كلمة جافية يراد بها التنبيه. [٢]

يقول الشاعر " لقد مللت ما تجئ به الحياة من مشقة وعناء، وضجرت من ذلك ومن يعيش مثلي ثمانين سنة فإنه يسآم الحياة، ويملها بسبب الكبر، وما يجلبه من تعب، فانتبه أيها الغافل أن لا بقاء، فأبوك قد رحل قبلك... علمي لا يحيط بكل شيء، فأنا أعرف خبر اليوم وما يجري فيه، كما أعرف ما جري في الأيام الماضية، لأنها مرت بي وخبرتها، أما المستقبل فلا علم لي به، فأنا أجهل ما يحمله إلي"[٣]

ويقول الشاعر:

ومن يَجْعل المعروف دون عرضِه يَفِرْهُ ومن لا يَتَّقِ الشتم يشتم

ومن يكُ ذا فضل فيبخل بفضله علي قومه يُسْتَغْن عنه ويذمم

---

(١) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل : جـ١ / ٢٥٧.

(٢) زهير بن أبي سلمى حياته وشعره للدكتور محمد يوسف فران : ص ١٢٤

(٣) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل : جـ١ /٢٧٤/٢٧٥.

ومـن هـابَ أَسـبابَ المَنَايـا يَنلنـه وإن يـرق أَسـبابَ السَـماءِ بِسُلَـمِ
ومن يجعل المعرُوفَ في غَيْر أهْلِهِ يكـن حَمْـدُهُ ذمًـا عَلَيـه وَيِنْـدمِ

يقول الشاعر " ومن كان معروفه ذبا عن عرضه صانه من الشتم ومن بخل دون ذلك سيشتم، ومن كان ذا فضل ومال وبخل بهما عن قومه فيستغني عنه قومه ويذمونه، ومن خاف المنية لابد من أنها ستنال منه ولن ينفعه خوفه"[1]

وإن كانت الصور الحسية في القصيدة قد أدت دورها في توضيح المعني وإبرازه، فكذلك الصور العقلية أدت دورها في توضيح المعني؛ لأن كل منهما يكمل الآخر، ولا يمكن الاستغناء عنه.

(1) زهير بن أبي سلمى حياته وشعره للدكتور / محمد يوسف فران: ١٢٤/ ١٢٥.

المبحث الثاني

التصوير البياني في المعلقه

ويشتمل هذا المبحث علي التصوير البياني في المعلقة، وهو ما تعارف عليه عند علماء البيان من : تشبيه ، واستعارة ، وكناية.

أولاً: التشبيه في لغة العرب :

الشِبْه بكسر الشين وسكون الباء، والشَبَه بفتح الشين والباء، والشبيه: المثل، ويجمع علي أشبه، وشابهه وأشبهه : ماثله، وشبهه إياه وبه تشبيها : مثله فالتشبيه في اللغة التمثيل. [1]

والتشبيه في الاصطلاح:

هو " الدلالة علي مشاركة أمر لآخر في معنى. [2] بإداة ملفوظة أو ملحوظة.

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن للتشبيه أربعة أركان الأمر الأول ويسمي المشبه، والأمر الثاني ويسمي المشبه به والجامع بينهما وجه الشبه، وأداة التشبيه.

والمشبه و المشبه به يطلق عليهما " طرفا التشبيه"، وقد يحذف المشبه للعلم به ولكنه ملحوظ في التقدير كقوله تعالي ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ البقرة آية ١٨ أي الكفار وهذا ما دلت عليه الآيات السابقة لهذه الآية.

---

(١) مختار الصحاح للرازي ولسان العرب لابن منظور مادة (شبه).

(٢) الإيضاح للخطيب القزويني للدكتور/ علي أبو ملحم: ص/١٨٩. ط. دار ومكتبة الهلال ببيروت.

وأما وجه الشبه : فهو الصفة التي يشترك فيها الطرفان، ويلزم أن تكون هذه الصفة متحققة في المشبه به بصورة أقوي وأوضح منها في المشبه؛ لأن مقتضى الأمر أن يكون المشبه به أقوي في الصفة من المشبه لأن الغرض منه الإيضاح.

وأما أداة التشبيه فهي كل لفظ دل علي المشابهة، وهي تكون حرفا كالكاف وكأن، وتكون فعلا نحو : شابه وماثل، وحاكي، ويشابه، ويماثل، ويحاكي، وتكون أسما نحو : شبه، ومثل، ومماثل ومشابه، ومحاك.

وقد تحذف الأداة أو وجه الشبه، أوهما معا لفظا لا تقديرا، ويعد التشبيه الذي حذفت بعض أركانه أدخل في باب البلاغة والبيان من التشبيه الذي ذكرت أركانه؛ لأن الأول يقتضي من الباحث مزيدا من كد الذهن وإعمال الفكر حتى يضع يده علي المحذوف من التشبيه ويقف علي السر البلاغي، أما الثاني فلا يحتاج إلي شيء من ذلك.

ولقد احتوت معلقه زهير بن أبي سلمى علي العديد من التشبيهات الرائعة والدقيقة في محتواها .

ومنها قول الشاعر:

ودارٌ لَهـــا بـــالرَّقمتين كأنهـــا مَراجِـعُ وشـمٍ فـي نواشـرِ مِعْصَـم [1]

شبه الشاعر في هذا البيت آثار محبوبته وهو مفرد حسي بالوشم الذي يوضع علي معصم اليد،وهو مفرد حسي ووجه الشبه شدة تعلقه بزوجته أم أوفى وبقاء واستمرار الذكريات التي تربطهما معًا فالتشبيه هنا من التشبيهات الحسية المفردة، وقد نتج عنه وجه شبه عقلي.

(1) الرقمتان : حرتان أحداهما بالقرب من البصرة والأخرى من المدينة، المراجع جمع المرجوع وهو المعاد، نواشر المعصم: عروقه، والمعصم : موضع السوار.

أثـافي سُـفْعًا فـي مُعَـرَّسِ مِرْجَـلٍ ونُؤيًـا كجـذم الحـوض لـم يتـثلم [١]

والمعني: يقول الشاعر ، ومما ساعدني علي معرفة الدار الأثافي السود الواقعة في موضع القر، والنؤى الذي سلم من الثلوم، فهو يشبه بقية الحوض" [٢]

فالمشبه : الأثافي الواقعة موضع القدر.

والمشبه به : بقيه الحوض الذي سلم من آثار الزمن، وهو خندق يحفر حول الخيمة ليجري فيه الماء، وأداة التشبيه الكاف (كجذم الحوض). وجه الشبه: إن الأثافي وبقية الحوض كلا منهما ساعد الشاعر علي معرفة ما تبقي من آثار محبوبته، وهذا التشبيه من التشبيهات المفردة الحسية.

قال الشاعر:

عَلَـونْ بأنمـاط عِتـاقٍ وكِلَّـةٍ وراد حواشـيها مُشـاكهة الـدم [٣]

والمراد: إن تلك الإبل التي تحمل النساء قد علتها صنوف من الثياب مهدت، وفرشت، ثم علت النساء تلك الثياب في هوادجهن التي سترت بثياب أخرى، وتلك الثياب كريمة، قد بدت أطرافها ونواحيها في حمرة شديدة تشبه الدم. [٤]

المشبه : ما يوضع فوق الإبل من أغطية ألوانها حمراء زاهية.

المشبه به: لون الدم أي هذه الأغطية تشبه الدم في حمرته.

---

(١) الأثافي: جمع الأثفية : حجارة توضع عليها القدر، المعرس : المنزل من النزل المرجل : القدر، النؤي : خندق يحفر حول الخيمة، ليجري فيه الماء.

الجذم : الأصل

(٢) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل :٢٤١/١ ط. الرياض.

(٣) علون : ارتفعن. أنماط : ما يعرض من صنوف الثياب. العتاق: الكرام.

الكلة : الستر الرقيق. الوراد: جمع ورد وهو الأحمر المشاكهة : المشابهة.

(٤) المعلقات العشر للدكتور / عبد العزيز بن محمد الفيصل :٢٤٤/١.

وجه الشبه: وجود أنواع من الثياب متعددة الألوان قد علت الإبل، وطغي علي هذه الثياب اللون الأحمر، وهو من التشبيهات المفردة الحسية.

قال الشاعر:

بَكَـرْنَ بُكـورًا و اسـتحرْنَ بسُـحْرةٍ فهـن لـوادي الـرَّسِّ كاليـد للفـم. [1]

فالمشبه في هذا البيت : خروج النساء وقصدهن وادي الرس، من التشبيهات المركبة حيث شبه هيئة خروج النساء في أول السحر بهيئة وضع اليد اللقم للطعام ووجـه الشبـه عقلـي وهـو تحديـد الهـدف والوصـول إليـه فـي وضـوح، وهـو مركـب حسي.

والمشبه به: اتجاه اليد للفم بالطعام وهو مفرد حسي حيث أن اليد لا تخطئ ولا تحيد عن الفم،ووجـه الشبـه : تحديـد الهـدف والوصـول إليـه فـي وضـوح، وأداة التشـبيه: الكـاف، وهـو مـن التشـبيهات المرسـلة التـي ذكـرت فيهـا أداة التشـبيه. " فتصـوير الظعـائن قاصـدة وادي الـرس فـي هـدوء وهـدي، باليـد تقصـد الفـم بالطعـام تشبيه طريف، دقيق[2] وهذا التشبيه من التشبيهات المركبة الحسية حيث شبه هيئة خروج النساء في أول السحر بهيئة وضع اليد للفم بالطعام، وقد نتج عنه وجه شبه عقلي وهو تحديد الهدف والوصول اليه في وضوح .

([1]) بكرن : سرن بكرة، استحرن : خرجن في السحر وهو أول الصباح وادي الرس: وادي الرس في غربي القصيم من بلاد نجد.

والمعنـي:إن تلـك الظعـائن سـرن بكـرة، وخـرجن فـي السـحر حيـث يبـدو أول النـور وهـدفهن وادي الرس...فاتجهن إليه في قصد واضح كما تتجه اليد للفم، فهي لا تخطئه ولا تحيد عنه .

([2]) زهير بن أبي سلمي ـ شاعر الحق والخير والجمال ـ للدكتور سعد إسماعيل شلبي: ٢٤٧، ط١ مكتبة غريب الفجالة.

قال الشاعر:

كـأن فُتـات العِهْـن فـي كـل منـزل نــزلن بــه حــب الغنــا لــم يُحَطَّــم [1]

شبه الشاعر فتات العهن المصبوغ باللون الأحمر، بحب الغنا الذي لم يتحطم والجامع بينهما " الحمرة في كل منهما والانتشار. وأداة التشبيه كأن وقد أوغل الشاعر في التشبيه إيغالا بتشبيه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الغنا الذي لم يحطم، لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البته، وكان هذا خالص الحمرة. [2] وهذا التشبيه من التشبيهات البعيدة الغريبة، لأن تشبيه العهن المصبوغ بحب الغنا يعد شيئا عاديا، ولكن الشاعر عندما شبه العهن المصبوغ بحب الغنا الذي لم يحطم قد أخرج التشبيه من القريب المبتذل إلى البعيد الغريب. [3]

تــدار كمــا عبْسًــا وذبيــان بعــدما تفـانوا وَدقّ ُوا بينـهم عَطِـر مَنْشَـم. [4]

---

(1) الفُتات ما يتقطع من الشيء وينحت منه. العهن : الصوف المصبوغ.
حب الغنا: عنب الثعلب وقيل : إن حب الغنا : الغنا شجر والحب ثمره. والثمر أحمر اللون.

(2) زهير بن أبي سلمي شاعر الحق والخير والجمال د / سعد إسماعيل شلبي ص ٢٣٠.

(3) والتشبيه البعيد الغريب: هو الذي لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وطول نظر لخفاء وجه الشبه. أسرار البلاغة للإمام عبد الظاهر الجرجاني: ١٥٤ تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر ط – ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

(4) تدار كتما عبسًا وذبيان : أي بالصلح بينهما .
تفانوا: بسبب حرب داحس والغبراء، منشم: منشم بفتح الشين وكسرها امرأة من خزاعة تبيع العطر، وقد اشترى قوم من عطرها، وتحالفوا عليه . بعدما غمسوا أيديهم فيه . أي لا يعودوا من حربهم إلا بالنصر أو الموت، فماتوا جميعًا فتشاء مت العرب بمنشم وعطرها
وقيل : منشم: اسم علم يعمل في العطارة التي ترش علي الموتى .

فالشاعر هنا شبه الحرب التي جرت بين عبس وذبيان بعدما تشاركوا في الفناء والقضاء علي بعضهم البعض بالعطر الذي يرش علي الموتى.

ويحتمل أن يكون هذا المثال من قبيل الاستعارة التمثيلية وهو: يجعل عطر منشم مثلًا في كل ما فيه هلاك من حروب أو نحوها. والغرض من هذا التصوير وتلك الاستعارة البديعة هو شيوع وانتشار الهلاك والدمار في الحروب كما هو الحال في انتشار عطر منشم [١].

والجامع بينهما الردى والهلاك في كل من الحرب والموت، وقد جاء هنا التشبيه تحقيقًا ويعنون بالتحقيقي ما كان موجودا في المشبه به، سواء وجد في المشبه أو لم يوجد[٢] ويحتمل أن يكون هذا المثال من قبيل الاستعارة التمثلية وهي : اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين أو أمور بالاخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه. [٣]

بجعل عطر منشم مثلا في كل ما فيه هلاك من حروب أو غيرها، والغرض من هذا التصوير وتلك الاستعارة البديعة هو شيوع وانتشار الهلاك والدمار في الحروب كما هو الحال في انتشار عطر منشم .

تُعَفّي الكلوم بالمئين فأصبحت يُنَجِّمُها من ليس فيها بمجرم [٤]

---

(١) الإيضاح للخطيب القزويني: ٢١٠.

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، للدكتور / فضل حسن عباس : ٣٨/ ٣٩. ط دار النفائس الاردن.

(٣) الإيضاح للخطيب القزويني: ٢١٠.

(٤) الكلوم : الجراح، التقفية الثمحية، تعفي : تمحي. ينجمها : يعطيها نجوما، المئين من الإبل: المئات. زهير بن أبي سلمي حياته وشعره تأليف د / محمد يوسف فران ١١٣-١١٤.

أبرز الشاعر في هذا البيت صورة السيدين هرم بن سنان، والحارث بن عوف وكرم أخلاقهما لأنهما قد حقنا دماء من تبقى من الرجال ببذلهما المئات من الإبل كديات للقتلى حتى بدت تلك الديات وكأنها النجوم الهوادي، ولم يقبلا بعد ذلك أن يهرق حتى ولو محجم واحد من الدّم بين المتقاتلين.

فالمشبه: دفع الديات للقتلى من قبل هرم بن سنان، والحارث بن عوف.

المشبه به : النجوم التي تمحو الظلام ـ أي أهوال الحروب.

ووجه الشبه: ظهور الأمل في السلم بعد فنائهم من كثرة الحروب.

والتشبيه هنا من التشبيهات المفردة الحسية وقد نتج عنه وجه شبه عقلي وهو من التشيهات المؤكدة البليغة، لإنه لم يذكر في هذا البيت أداة التشبيه ولا وجه الشبه.

رأيت المنايا خَبْطَ عشواءَ من تُصبْ تمته ومن تخطئ يعمُر فيهرم [1]

فالمشبه: في هذا البيت الموت وهو مفرد عقلي، والمشبه به : الناقة العمياء التي تتخبط في مشيتها وهو مفرد حسي، ووجه الشبه : أن كلا من الموت والناقة التي لا تبصر يأتي فجأة، وعلي غير هدي، ومن غير ترتيب، وهو من التشبيهات البليغة التي حذف منها أداة التشبيه ووجه الشبه.

والمعني: إن الموت يأتي إلي الناس بغير ترتيب ، فهو يضرب هذا ويتجاوز ذاك فمن ضربه فقد فارق الحياة، ومن أخطأه فقد بقي حيا، فالموت يشبه الناقة التي لا تبصر في الليل، فهي تضرب الأرض بيديها ورجليها علي غير هدي. [2]

(1) الخبط الضرب باليد. العشواء : تأتيث الأعشي الذي لا يبصر ليلا

(2) المعلقات العشر تأليف أ. د / عبد العزيز محمد الفيصل جـ١/ ٢٧٥.

ومـن لا يصـانعُ فـي أمـورٍ كثيـرةٍ يُضَـرَّسْ بأنيـاب ويُوطَـأْ بمَنْسـمِ [1]

فالمشبه : حال من لم يدار الناس في الدنيا وهو مركب عقلي، والمشبه به: بحال من يعض بأنياب ويداس بخف البعير وهو مركب حسي، ووجه الشبه عقلي وهو: الإهانة والذل لمن يدار الناس.

والتشبيه هنا من التشبيهات المركبة، لأن كلا من المشبه والمشبه به هيئة مركبة ومن التشبيهات البليغة التي حذف منها أداة التشبيه ووجه الشبه وقد اقترن هذا البيت بالكناية في قوله: (يوطأ بمنسم).

وبعد هذه الجولة الرائعة في تشبيهات المعلقه والتي كان من أبرز أغراضها توضيح الصورة وإبرازها بما حوته من دقة الوصف، وجمال المبني والمعني.

وجدت أن الطابع الغالب على هذه التشبيهات الحسية المفرد فمن المفرد الحسي، وقد نتج عنها وجه شبه عقلي قول الشاعر :

ودار لهـا بـالرقمتين كأنهـا مراجـع وشـم فـي نواشـر معصـم

وقول الشاعر :

تـداركتما عـبس وذبيـان بعـدما تفـانوا ودقـوا بيـنهم عطـر منشـم

وقد احتوى هذا البيت على الأستعارة التمثيلة في قوله : (عطر منشم) حيث جعل هذا القول مثلا لكل ما فيه هلاك ودمار .وقول الشاعر :

تعفـى الكلـوم بـالمئين فأصـحبت ينجموهـا مـن لـيس فيهـا بمجـرم

([1]) يصانع : يداري، يضرس : يعضض، أنياب واحدها ناب والأنياب أربعة.

منسم : طرف خف البعير.

والمعني : إن الإنسان بحاجه إلي مداراة الناس في شؤونه وأموره المتصلة بهم، والذي لا يفعل ذلك يناله الأذى منهم بالقهر والذلة، فكأنه يعضض بالأنياب، ويوطأ بخف البعير

ومن التشبيهات الحسية المفردة ووجه الشبه حسي قول الشاعر :

أثـافي سـعفا فـي معـرس مرجـل ونؤيـا كجـذم الحـوض لـم يتـثلم

وقول الشاعر :

علونـا بأنمـاط عتـاق وكلـة وراد حواشـها مشـاكهة الـدم

وقول الشاعر :

كـأن فتـات العهـن فـي كـل منـزل نـزلن بـه حـب الغنـا لـم يحطـم

وقد عد هذا البيت من التشبيهات البعيدة الغريبة كما اقترن هذا التشبيه بالإيغال لقصد المبالغة .

ومـن التشـبيهات مـا كـان فيـه المشـبه مفـردا عقليـا، والمشـبه بـه مفـردا حسيا،ووجه الشبه عقليا كقول الشاعر :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمتـه ومـن تخطـئ يعمـر فيهـرم

ومن هذه التشبيهات المركبة الحسية قول الشاعر :

بكـرن بكـورا واسـتحرن بسـحرة فهـن لـواد الـرس كاليـد للفـم

ومن التشبيهات المركبة التي قد جمعت بين العقلية والحسية قول الشاعر :

ومـن لا يصـانع فـي أمـور كثيـرة يضـرس بأنيـاب ويوطـأ بمنسـم

وقد اقترن هذا التشبه بالكناية في قوله : (ويوطأ بمنسم) .

وهناك العديد من التشبيهات التي وردت في المعلقه فمنها المؤكدة البليغة، ومنها المرسلة، ومنها ما قد جمع بين التشبيه والإيغال لقصد المبالغة كما في قول الشاعر.

كـأن فُتـات العِهْـن فـي كـل منـزل نـزلن بـه حـب الغنـا لـم يحطـم

ومنها ما اقترن بالكناية كما في قول الشاعر:

ومـن لا يصـانع فـي أمـورٍ كثيـرةٍ يُضـــرَّسْ بأنيـــاب ويُوطـــأْ بمَنْسِـــمِ

ثانياً: الاستعارة :

الاستعارة في اللغة من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلي شخص.

وفي الاصطلاح: ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له[1]

فالاستعارة إذا قائمة ومبنية علي التشبيه، ولكن الاستعارة يحذف منها أحد طرفي التشبيه، فإن حذف المشبه وصرح فيها بلفظ المشبه به فهي استعارة تصريحية، وإن حذف منها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه فهي استعارة مكنية.

والاستعارة باعتبار اللفظ المستعار تنقسم إلي قسمين:

١- فإذا كان اللفظ المستعار اسما فهي أصلية.

٢- وإذا كان اللفظ المستعار فعلا فهي استعارة تبعية.

أبرز الاستعارات في معلقة زهير بن أبي سلمي:

أَمِـنْ أُمِّ أوفْـي دِمْنَـةٍ لـم تَكَلَّـم بِحَوْمانـــةِ الـــدَّرَّاج فـــالمُتَثَلَّمِ[2]

فالشاعر هنا شبه آثار أم أوفي بالآثار التي لم تكلم، فالمستعار له: الدمنة، والمستعار منه : الإنسان الساكت الذي لم ينطق ولم يبين، حذف المستعار منه وهو الإنسان ورمز له بشئ من لوازمه أي صفاته وهي عدم الكلام على سبيل الاستعارة المكنية.

---

(١) الإيضاح للخطيب القزويني ٢٤١.

(٢) الدمنة: ما أسود من آثار الدار. حومانة، الدراج والمتثلم : موضعان.

زهير بي أبي سلمي حياته وشعره: ١٠٦.

يمينـــا لَـــنِعْمَ الســـيدان وُجِـــدْتُما علـي كـل حـال مـن سَـحيل ومُبْـرَم [1]

استعار الشاعر للسيد بين العظمين هرم بن سنان، الحارث بن عوف، كلمتي سحيل ومبروم.

" والمراد: أن هرم بن سنان، والحارث بن عوف، سيدان في كل موقف فإن عرض أمر سهل تحملاه، وإن جد أمر صعب صمدا له، وتحملا شدته وقسوته، فقد وجدا لتحمل الأمور، سهلها وصعبها"[2]

فالمستعار له : السيدان.

والمستعار منه : حالهما في الأمور السهلة، بالسحيل، وبالأمور الصعبة بالمبرم، والاستعارة هنا تصريحية أصلية حيث صرح فيها بلفظ المشبه به

ولقد أدت الاستعارة دورها في إبراز الكرم والنبل الإنساني في خلق هذين الرجلين الكريمين، لأنهما أعطيا الكثير من مالهما وأوقاتهما من أجل أن يعم الأمن والسلام بين قبيلتي عبس وذبيان.

فَتعْـرَ كُكُـم عَـرْكَ الرّحـى بثفالِهـا وتْلقَـحْ كِشـافًا لـم تُنْـتَحْ فتتـئم[3]

---

(1) السحيل : المفتول علي قوة واحدة. المبرم: المفتول علي قوتين أو أكثر حيث يستعار السحيل للضعيف والمبرم للقوي. زهير بن أبي سلمي حياته وشعره : ١١٢.

(2) المعلقات العشر تأليف الاستاذ والدكتور: عبد العزيز بن محمد الفيصل جـ١ / ٢٥٠.

(3) تعرككم : تطحنكم، الثفال : جلدة تحت الرحي ليقع عليها الدقيق، تلقح كشافا يقال لقحت الناقة كشافا إذا حملت كل سنة، والأجود في النتاج أن تحمل سنة وترتاح سنة، تنتج : يستبين حملها، وقيل تضع ولدها، تتئم : تلد اثنين. المعلقات العشر: جـ١ ٢٥٨ يتصرف بسير.

في هذا البيت شبه الشاعر عرك الحرب بعرك الرحى الحب مع ثفاله والجامع الهلاك، والاستعارة في قوله: (وتلقح كشافا) ثم تنتج بأن استعار للحرب وتكرارها بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات، وبالغ في وصفها باستتباع الشر لشيئين.

وقد صرح الشارع بلفظ المستعار منه، والاستعارة هنا تصريحية تبعية.

فَتَغْلُلْ لكم ما لا تغلُّ لأَهْلِهَا قُرْي بالعراق من قفيز ودرهم[1]

استعار الشاعر بما يغل من الأرض ومن ثمرتها لما يقع من الحروب من هلاك ، فالمستعار له هنا الحرب، المستعار منه ما ينتج عن الحرب من الخراب والدمار، والاستعارة هنا تصريحية تبعية، وهي في وقوله: (فتغل).

"وحديث زهير بن أبي سلمى عن الحرب حديث شيخ مجرب استطاع بأسلوبه البسيط أن يخاطب القوم على مستوى نفوسهم وأفهامهم حيث حاول أن يثير فيهم ما يمكن أن تولده الحرب من الآثار المؤلمة معتمدًا في ذلك أسلوب التهكم النفسي إذ أن الحرب لا تنتج قفيزًا ودراهم كما تنتج مدن العراق وإنما تنتج مصنعا لإزهاق الأرواح الطاهرة وإهراق الدماء الذكية الطيبة[2]

لدي أَسَد شاكي السلاح مُقذَّفٍ له لبدُ أظفارُهُ لم تقلم [3]

فالشاعر في هذا البيت استعار لفظ الأسد للرجل الشجاع، وهو حصين بن ضمضم، والاستعارة هنا تصريحية أصلية.

---

(1) تغلل: الغلة ما يحصل علي الإنسان من ريع أرض أو كراء (إيجار) دار، قفيز: مكيال يساوي بتقدير زمانا ستة عشر كيلو جراما. المعلقات العشر جـ١ / ٢٥٩.

(2) زهير بي أبي سلمي حياته وشعره : ١١٧.

(3) شاكي : أصلها شايك أي لسلاحه شوكة، مقاذف : مرام لا يخطئ، لبد: شعر بين كتفيه، أظفاره لم تقلم : تام السلاح. المعلقات العشر : ج١ /٢٦٣

فالاستعارة في قوله: (أسد) ومن صفاته على حقيقته (له لبد) فهذا ترشيح، ومن صفاته على مجازه، (شاكي السلاح مقذف) أي في الحروب، وهذا تجريد، واجتماع الترشيح مع التجريد يجعل الاستعارة مطلقة [١]. وسميت هذه الاستعارة بالمطلقة باعتبار الملائم حيث أنها قد قرنت بملائمين للفظ الأسد، الأول للمعنى الحقيقي وهو قوله (له لبد)، والثاني: للمعنى المجازي، وهو قوله: (شاكي السلاح مقذف). وقد اجتمع التجريد والترشيح في قول الشاعر، والترشيح أبلغ لاشتماله على تحقيق المبالغة.

والاستعارة هنا قد جاءت مطابقة للمقام الذي وردت فيه، ولذلك كانت بليغة في موضعها، وقد أدت المعنى المطلوب بإيجاز ووصفت حصين بن ضمضم بالمقاتل الشرس في الحروب.

والمراد أن حصين بن ضمضم تام السلاح، فسلاحه له شوكة وحدة، وهو مرام لا يخطئ إذا استعمل سلاحه في الحرب، فهو يشبه الأسد الذي له شعر بين كتفيه، ولم تقلم أظفاره"[٢]

رعوا مارعوا من ظمئهم ثم أوردوا غمارًا تفري بالرماح وبالدم [٣]

فالمستعار له هنا : ابتعاد عبس وذبيان عن الحرب مدة أو فترة من الزمن.

---

(١) هامش الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥٥ شرح وتعليق أ.د/ فتحي فريد عبد القادر، أ.د/ إبراهيم عبد الحميد التليت، أ.د/ فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

(٢) المعلقات العشر : جـ١ /٢٦٥.

(٣) " الظمأ: الغل. الغمار جمع غمر وهو الماء الكثير. التفري: التشقق والتفريق، والمعني : رعوا إبلهم الكلأ حتى إذا عطشت أوردوها مياها كثيرة، وهذا كله استعارة لأن المراد أنهم كفوا عن القتال مدة كما ترعي الإبل مدة ثم عادوا إلي الحرب كما ترد الإبل الماء الوفير.".

والمستعار منه: الإبل التي ترد الماء الكثير بعد عطش، فتشرب منه، وتخوض فيه، وتحدث الفوضى بسبب هذا العطش، وكذلك الحروب تشتعل وتزداد حدتها بعد التوقف، وتكثر فيها الدماء.

حذف المستعار له، وصرح بلفظ المستعار منه في قوله: رعوا ما رعوا من ظمئهم والاستعارة هنا تصريحية تبعية.

ومن خلال استعراض ابرز الاستعارات التي وردت في معلقه زهير بن أبي سلمي وجدت أنها قد اشتملت على:

– الاستعارة المكنية في موضع واحد في قول الشاعر:

أَمِنْ أُمِّ أوفْي دِمْنَةٍ لم تَكَلَّم بِحَوْمانَةِ الدَّرَّاج فالمُتَثَلَّمِ

– والاستعارة التصريحية الأصلية في موضعين، في قول الشاعر:

يمينا لَنِعْمَ السيدان وُجِدْتُما علي كل حال من سَحيل ومُبْرَم

– والاستعارة التصريحية الأصلية (المطلقة) التي قد جمعت بين الترشيح والتجريد في قول الشاعر:

لدي أَسَد شاكي السلاح مُقذَّفٍ له لبدُ أظفارُهُ لم تقلم

– والاستعارة التصريحية التبعية في ثلاث مواضع

في قول الشاعر:

فَتعْرَ كُكُم عَرْكَ الرّحى بثفالِها وتْلقَحْ كِشافًا لم تُنْتَحْ فتتئم

وقول الشاعر:

فَتَعْلُلْ لكم ما لا تغلُّ لأَهْلِهَا قُرْي بالعراق من قفيز ودرهم

وقول الشاعر:

رعوا مارعوا من ظمئهم ثم أوردوا غمارًا تفري بالرماح وبالدم

ثالثاً: الكناية :

الكناية في اللغة: الستر .

وفي الاصطلاح: هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ[١]

والكناية أنواع، منها ما يرمز إلي الصفة، ومنها ما يوحي بالموصوف، ومنها ما يشي بالصفة والموصوف معا، ويقوي النسبة بينهما، وفي الشعر الجاهلي كثرة كاثرة، إذ هي القنطرة التي يعبر بها المعني من مراده الحقيقي إلي مراده المجازي، وكأن المعني قد توسط هذه القنطرة فبقيت الصلة قوية بين الحقيقة والمجاز بحيث يمكن أن يراد بالكناية حقيقتها التي كانت تستعمل فيها، أو يراد بها المفهوم الفني الجديد الذي يريده الشاعر ويكني عنه، فهي بهذا المفهوم أقرب إلي الواقع من التعبير الاستعارى الذي لا يمكن أن يراد به المعني الأصلي، ولا تفهم إلا علي نحو من الخيال. [٢]

ومن أبرز الكنايات في معلقة زهير بن أبي سلمي . قول الشاعر :

بهـا العـينُ الآرام يمشـين خلْفـةً وأطلَاؤهـا ينهضـن مـن كـل مجـثم. [٣]

فالشاعر هنا كني عن الأبقار الوحشية بالعيون في قوله (بها العينُ) لشهرتها بالعيون الواسعة في الحقيقة، وهي من الكناية عن الموصوف وهو العيون.

ومن الكناية قول الشاعر:

---

(١) الإيضاح للخطيب القزويني تحقيق الدكتور / علي بوملحم : ٢٧٣ ط. دار مكتبة الهلال . بيروت.

(٢) زهير بن أبي سلمي تأليف الدكتور / سعد إسماعيل شلبي: ٢٥٣.

(٣) العين : الواسعات العيون كناية عن الأبقار الوحشية. الآرام جمع رم وهو الظبي الأبيض. خلفه: يخلف بعضها بعض. الأطلاء: أولاد الظبي أو البقرة الوحشية. مجثم : محط : مكانه الجثوم.

وكـان طـوي كشـحًا علـي مُسـتكنّة فـــلا هـــو أبـــداها ولـــم يـــتجمجم

الكشـح : منقطـع الأضـلاع وهـو هنـا كنايـة عـن إضـمار العـداوة، المسـتكن: الملتجئ إلي السكون لأنه لم يعرض عن نواياه.

فالكنايـة هنـا فـي قولـه (كشـحا) والمـراد بهـا إضـمار العداوة، وإضـمار العداوة محله ومستقره القلب، ولذا فهي من الكناية عن موصوف.

وقول الشاعر

ومـن لا يُصـانع فـي أمـورٍ كثيـرةٍ يُضـرَّس بأنيـاب ويوطـأْ بمنسِـمِ. [1]

فالتعبير بقوله : يوطا بمنسم أفاد الكناية عن صفة الذل والمهانة لمن لم يدار الناس، ويمتص غضبهم.

وبعد استعراض أبرز الكنايات في المعلقة وجدت إنها قد احتوت علي الكناية عن الموصوف، والكناية عن صفة.

(1) ومعني (يوطأ بمنسم) أي : يوطأ بخف البعير. المعلقات العشر : جـ١ / ٢٧٣.

الخاتمة

الحمد لله حمد الشاكرين حمدا يليق بجلاله وكماله، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وبعد.

فقد سعدت بالبحث في معلقه زهير بن أبي سلمي (التصوير البياني في الشعر الجاهلي زهير بن أبي سلمي . أنموذجا)

واستمتعت بالصور البيانية التي وردت في هذه المعلقة والتي تميزت بجمال الألفاظ والمعاني، واتسمت فيها الألفاظ بالجزالة والقوة فعبرت عن المعاني المقصودة بها بصورة قوية ومؤثرة.

وقد تكونت خطة البحث من

١. المقدمة: وذكرت فيها سبب اختياري للموضوع وأهميته.
٢. التمهيد ويتضمن التعريف بالشاعر ومعلقته، ومفهوم الصورة في الشعر الجاهلي.
٣. المبحث الأول: مصادر الصورة في المعلقة: مصادر حسية ومصادر عقلية.
٤. المبحث الثاني : التصوير البياني في المعلقه ويتضمن:

أولًا: التشبيهات

ثانيًا: الاستعارات

ثالثًا: الكنايات

٥. الخاتمة وفيها أبرز النتائج
٦. المراجع.

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة معلقة زهير بن أبي سلمي الآتي:

– وجدت أن ألفاظ هذه القصيدة جزلة وقوية وتميزت بالفخامة التي تدل علي فصاحة العرب.

– هناك العديد من المفردات اللغوية الغريبة ـ في عصرنا الحالي ـ احتوت عليها المعلقه.

– احتوت المعلقه على الكثير من التشبيهات المفردة الحسية فمنها المفرد الحسي وقد نتج عنه وجه شبه مفرد عقلي، ومن ذلك قول الشاعر:

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجع وشم في نواشر معصم

وقول الشاعر:

تدار كما عبْسًا وذبيان بعدما تفانوا وَدقٌّوا بينهم عَطِر مَنْشَم.

وقد احتوى هذا البيت على الاستعارة التمثيلية في قوله: (عطر منشم) حيث جعل هذا القول مثلًا لكل فيه هلاك ودمار.

وقول الشاعر:

تُعَفّي الكلوم بالمئين فأصبحت يُنَجِّمُها من ليس فيها بمجرم

ومنها التشبيهات الحسية المفردة ووجه الشبه حسي كقول الشاعر:

أثافي سفْعًا في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ونؤيا كجذم الحَوْضِ لم يتثلَّم

وقول الشاعر:

علون بأنماطٍ عتاقٍ وكلَّةٍ وراد حواشيها مشاكهة الدم

وقول الشاعر:

كأن فُتات العِهْن في كل مَنْزِلٍ نزلن به حب الغنا لم يُحَطَّم

وقد عد هذا البيت من التشبيهات البعيدة القريبة، كما اقترن بالإيصال في قوله: (لم يحطم) لقصد المبالغة.

ومن التشبيهات ما كان فيه المشبه مفردًا عقليًا، والمشبه به مفردًا حسيًا، ووجه الشبه عقليًا كقول الشاعر:

رأيت المنايا خَبْطَ عشواءَ من تُصبْ تمته ومن تخطئ يعمُر فيهرم

ومن التشبيهات المركبة الحسية، كقول الشاعر:

بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن لوادي الرس كاليد للفم

ومن التشبيهات المركبة التي قد جمعت بين العقلية والحسية قول الشاعر:

وَمَنْ لا يُصانِع في أمُورٍ كثيرة يُضْرَسْ بأنيابٍ ويُوطأ بمَنْسم

وقد اقترن هذا البيت بالكناية في قوله: (يوطأ بمنسم)

وقد وردت بعض هذه التشبيهات مؤكدة بليغه لحذف وجه الشبه والأداة، وذكر فيها المرسلة المذكورة الأداة.

كما احتوت المعلقه على العديد من الاستعارات:

فمنها الاستعارة المكنية في موضع واحد في قول الشاعر:

أَمِنْ أُمِّ أوْفي دِمنةً لم تكلِّمِ بحومانةَ الدراِج فالمتثلَّمِ

–والاستعارة التصريحية الأصلية في موضعين:

في قول الشاعر:

يمينا لَنِعْمَ السيدان وُجِدْتُما على كل حال من سَحيل ومُبْرَم

والاستعارة التصريحية الأصلية (المطلقة) التي قد دمعت بين الترشيح والتجريد ، في قول الشاعر:

لدي أَسَد شاكي السلاح مُقذَّفٍ له لبدُ أظفارُهُ لم تقلم

والاستعارة التصريحية التبعية في ثلاث مواضع:

في قول الشاعر:

فَتعْـرَ كُكُـم عَـرْكَ الرّحـى بثفالِهـا وتْلقَـحْ كِشـافًا لـم تُنْـتَحْ فتتـئم

وقول الشاعر:

فَتَغَلْـلْ لكـم مـا لا تغـلُّ لأَهْلِهَـا قُـرْي بـالعراق مـن قفيـز ودرهـم

وقول الشاعر:

رعوا مارعوا من ظمئهم ثم أوردوا غمـارًا تفـري بالرمـاح وبالـدم

والاستعارة التمثيلية في موضع واحد في قول الشاعر:

تـدار كمـا عبْسًـا وذبيـان بعـدما تفـانوا وَدقّوا بينـهم عَطِـر مَنْشَـم.

– كما احتوت المعلقة علي العديد من الاستعارات، وكان الغالب علي الاستعارة في المعلقة الاستعارة التصريحية، وهي التي صرح فيها بلفظ المشبه به، والاستعارة التبعية، والاستعارة الأصلية.

– كما احتوت المعلقة علي الكناية عن موصوف في موضعين، والكناية عن صفة في موضع واحد.

ولقد استعمل زهير بن أبي سلمي في معلقته ألوان البيان من تشبيه واستعارة وكناية وكان استعماله لها تلقائيا لا تكلف فيه وكان همه الأول نقل ما يدور في خاطره نقلا دقيقا مصورًا وواصفا ما حوله بدقة ووضوح، فأتت التشبيهات والاستعارات والكنايات دقيقة وواضحة ومعبرة عن المقصود منها بأتم تعبير وأحسنه.

هذا. وإن كنت قد وفقت في دراستي لهذه المعلقه وفي تحليل واستنباط ما ورد فيها من علوم البيان فمن الله وحده . عز وجل . وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المراجع

١. البلاغة فنونها وأفنانها . علم البيان والبديع . للدكتور / فضل حسن عباس. ط. دار النفائس. الأردن.

٢. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط ١٤١٢هـ /١٩٩١م.

٣ـ الإيضاح للخطيب القزويني تحقيق الدكتور / عبد الحميد هنداوي ط. دار مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٤ـ الحديث النبوي (مصطلحه . كتبه . بلاغته) للدكتور / محمد لطفي الصباغ ط. المكتب الإسلامي بيروت. ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٥ـ زهير بن أبي سلمي حياته وشعره إعداد محمد يوسف الفران. ط. دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

٦ـ زهير بن أبي سلمي . شاعر الحق والخير والجمال . الدكتور / سعد إسماعيل شلبي– مكتبة غريب. الفجالة.

٨ـ شرح المعلقات السبع للقاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين الزوزني . ط– دار مكتبة الحياة بيروت . لبنان.

٩. الشعر الجاهلي السياق والملامح . أهم القضايا. أبرز الأعلام . تأليف الدكتور / صلاح رزق. ط. دار غريب القاهرة.

١٠ـ مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي . مكتبة الثقافة الدينية ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م.

١١. لسان العرب لابن منظور . ط. دار المعارف . مادة شبه ١٩٩٧م.

١٢. المعلقات العشر للأستاذ الدكتور/عبد العزيز محمد الفيصل ط.أولي ١٤٢٣هـ . الرياض.
١٣. مكارم الأخلاق في الشعر الجاهلي للدكتور/ خالد الزواوي. ط مؤسسة حورس الدولية . الإسكندرية.